الفصل السابع عشر

الحب والتربية

تعرف التربية المتكاملة بأنها :

هي التربية التي تعنى بالجوانب الجسدية والعقلية والنفسية والإجتماعية .. لتنمية شخصية الإنسان ..

والنمو السليم .. هو الذي يحقق التوازن بين هذه الجوانب ..

ولا شك أن نمو أي جانب .. من هذه الجوانب .. يؤثر في نمو الجوانب الأخرى ..

ويتأثر بنموها ..

فالنمو الإجتماعي .. أو الوجداني .. يساير النمو العقلي ويؤثّر فيه ..
وذلك لأّن الطفل الذي يعيش في بيئة أسرية يسودها الأمن والإستقرار ..
ينمو بشكل طبيعي على المستوى الإجتماعي ..
وهذا يؤثر بالتالي في نموه العقلي بصورة إيجابية ..
والعكس صحيح ..
وفي المقابل .. فإن الأسرة التي يتمتع فيها الوالدان برحابة الصدر ..
وإخضاع كل أمر للمناقشة بروح ودية وإحترام متبادل ..
يتميز أبناؤها بنمو وجداني وعقلي سليم ومتوازن ..
يمكنهم من التكيف الإجتماعي فيما بعد ..
والتفكير الصحيح وإبداء الرأي تجاه القضايا الحياتية المختلفة . .

فالنشاط الإجتماعي داخل الأسرة وخارجها .. والتجربة أو التجارب الفردية والإجتماعية التي يتعرض لها الطفل .. في مراحل نموه المتعاقبة .. وما يرافقها من عناصر ومواقف

obeikan.com

عاطفية وجدانية .. تسهم بفاعلية كبيرة في نموه العقلي . .

ويعتاد العمل والتعاون والشعور بالمسؤولية ..

ويتعلم في الوقت ذاته .. ألفاظاً وعبارات تتعلق بهذه المناشط ..

فتثري رصيده اللغوي وقدرته على التعبير..

وينشأ على مستوى عالي من النضج ..

ويتمتع بدرجة عالية من قوة الشخصية .. وحرية الإرادة .. والإعتماد على الذات ..

والأب .. والأم .. هما القدوة لأبنائهم ..

وخاصة الأم ..

إذا كانت تعطي لأبنائها مساحة من الوقت للتربية .. أكثر مما يمنحهم الأب من الوقت ..

بسبب مشاغله في عمله ..

والأم الصالحة سوف تحسن التعامل مع زوجها ..

فتعامله بكل الحب .. والإحترام .. والإخلاص .. والمودة .. والرحمة ..

وطبعا .. لن يكون من الزوج إلا الإخلاص .. والتقدير .. والحب الحقيقي .. والرعاية ..

وسوف يكبر الأولاد على هذه القيم والأخلاقيات ..

فتكون الأم هي القدوة .. للبنات ..

والأب هو القدوة .. للأولاد ..

ولقد كان نابليون بونابارت محقا حين سئل .. أي حصون فرنسا أمنع ؟! ..

فقال .. بلا تردد .." الأمهات الصالحات " ..

حيث يعم الحب أرجاء البيت .. فلا يشب الإبن كارها للبيت ..

يبحث عن العلاقات الإجتماعية خارج البيت .. وقد تغلبت عليه كل أسباب حب النفس ..

وتغلب " الأنا " .. عنده .. والنرجسية ..

أو قد ينزوي بعيدا عن عيون الأخرين .. فلا يرى أحد نواقصه .. ولا اكتئابه ..

وقد تتورط البنت في علاقات فاشلة .. من حالات الحب من طرف واحد ..

أو تبحث عن العلاقات التي تنتهي قبل أن تولد .. في تخبط مريع ..

ففي بداية حياتنا .. نحمل بعض الميول الإجتماعية العامة ..

إلا أن الخبرات المكتسبة اللاحقة .. تكتسب أهمية خاصة في تحديد توجهاتنا الإجتماعية ..

وهنا يبرز الدور الهام الذي تلعبه الأسرة في تربية النشأ على الحب .. والإهتمام بهم ..
وإحتضانهم بالدفء والمودة .. وتوفير الحماية لهم .. وتوفير إحتياجاتهم .. وشمولهم بالرعاية .

وربما تجدر الإشارة .. إلى أن المبالغة في أي من هذه النواحي الهامة من نواحي التربية ..

سوف يكون لها الأثر السلبي .. والنتيجة العكسية ..

فالمبالغة في إبداء مشاعر الحب .. والإهتمام .. وتلبية كل المطالب ..

قد تساعد علي زيادة مساحة " الأنا " لدي الأبناء ..

فتقودهم إلى المبالغة في حب الذات .. فتدمر علاقاتهم الإجتماعية الإيجابية ..

و من ثم تفقدهم قدرتهم على حب الآخر ..

وبالتالي تقلص من فرص حب الآخرين لهم ..

كما أن هناك خطأ مدمر أخر .. في التربية الأسرية .. قد يغفل عنه الأهل أحيانا ..

ألا وهو إظهار حب الأب .. أو الأم .. أو كلاهما .. لأحد الأبناء ..

أكثر من أخيه أو أخته ..

أو منحه مساحة أكبر من الإهتمام ..

أو منحه بعض الحقوق على حساب أخيه .. أو أخته ..

مثل ما تقع فيه بعض الأسر .. من منح الإبن زمام الأمور في تربية أخته ..

حتي لو كانت أكبر منه ..

ويكون عليه مراقبتها .. ومراقبة سلوكياتها ..

فلا تفعل شيئا إلا بإذنه ..

بل لا تفعل شيئا إلا بموافقته ..

فتفقد البنت حريتها في البيت .. وخارج البيت ..

وبما أن الأمر لن يخلو من تسلط الولد على أخته .. والتعسف في مراقبتها ..

فمن المؤكد أن علاقة الحب بين الولد .. وأخته .. سوف يصيبها التشوة .

بل وعلاقة البنت مع كل أفراد أسرتها .. سوف تكون علاقة حب مشوهة ..

وما أن تشعر البنت أن أنوثتها قد اكتملت .. فسوف تبحث عن علاقة تتيح

لها التحرر من قيود الأسرة .. ومن تسلط أخوها ..

فتستجيب لما يصل إلى أذنيها من كلام جميل ..

هي محرومة منه في بيتها .. وفي أسرتها ..

فتحب أن تسمع هذا الكلام ..

ويفقدها الغزل أي مقاومة للوقوع في الحب ..

وتكون التجربة فاشلة .. لحب طائش ..

لم تتمكن الفتاة من تقدير عواقبه ..

وتكون البنت ضحية التربية ..

التي لم تمنح لها الحب والحنان ودفء المشاعر الأسرية ..

ولم يحتويها الأب برعايته .. ولم تحتضنها الأم .. تكون منها بمثابة صديقتها .. تسمع لها .. وتشجعها في مواضع التشجيع ..

وتحذرها في مواضع التحذير .. وتعفو عنها حين الخطأ ..

وتطلب عدم تكراره ..

وتراقبها عن بعد ..

وعلى هذه الأسرة التي تدلل أحد أبناءها على حساب أخيه .. ألا تعتقد أن الأمر سيمر بسلام ..

بل سوف ينشأ هذا الأخ المغبون .. المهمل .. ضعيفا .. تغلفه كل مشاعر النقص ..

و سوف يتفتح قلبه على الكراهية .. أولا للأب .. أو للأم .. أو لكلاهما ..

ثم للأخ الذي يجور على حقوقه ..

" حتى لو كان ذلك في مخيلته .. وليس حقيقيا " ..

ثم يعمم ذلك على المجتمع ككل ..

وتسيطر عليه فكرة " المظلومية " .. فالكل يظلمه .. حسب ما يعتقد .. ويستقر في وجدانه ..

في البداية أمه و أباه .. ثم أخوه .. أو أخته .. ثم المجتمع ..

ولا شك أن تجنب هذه النتيجة المأساوية .. يستلزم الحرص الدائم من الأسرة ..

على التأكيد المستمر للأبناء .. على أنهم جميعا تحت نفس المظلة .. من الحب ..

وأنهم يحتلون نفس المساحة من الإهتمام .. والرعاية ..

وأن الوالدين إنما يؤكدون على توزيع الحب والرعاية والإهتمام .. على كل الأبناء

بالتساوي .. والعدالة ..

وعدم الميل إلى أحد الأبناء .. على حساب الإبن الآخر ..

وذلك حتى نصقل الذات الإجتماعية التي سوف يكون عليها أبنائنا ..

ونمنع تطور حالة المظلومية عندهم ..

بما تعنيه من مشاعر اليأس .. والإحباط .. والقلق .. والكراهية ..

التي قد تتملك من قلوبهم ..

فلا يكون هناك أمل في إصلاح ..

ولا فرصة في إقناعهم أن خيالهم هو الذي يصور لهم هذه التفرقة بين الأخوات ..

وأن الأب والأم يستحيل عليهم أن يمنحوا الحب لأخ أكثر من أخيه ..

إنما هي الغيرة من الأخ .. هي التي ربما أوحت إليه أن يعتقد ذلك ..

و بقدر ما نمنح أبنائنا من الحب ..

سوف نحصد من حبهم .. لنا .. وللمجتمع ..

obeikan.com

ولذلك علينا أن نبذل الكثير ..

لتحسين مسار تطور الذات الإجتماعية لأبنائنا ..

من خلال تنمية ثقتهم بأنفسهم .. وحبهم لذاتهم " بالقدر الإيجابي " ..

فينعكس ذلك إيجابيا على تفاعلهم الإجتماعي ..

فيكونوا قادرين على الأخذ .. والعطاء .. في معادلات متوازنة ..

خارج نطاق الأنانية .. وحب الذات المرضية ..

و أيضا علينا تنمية قدراتهم على أن يحبوا .. وأن يكونوا محبوبين ..

حتي لا يكون الأوان قد فات .. وحتى لا تنتهي فرص الإصلاح ..

كذلك .. فإنه من الأهمية بمكان .. في سياق الحديث عن .. التربية والحب ..

أن يعرف الأب وكل أفراد الأسرة .. أن عليهم إشباع احتياجات البنت من الحنان ..

والعواطف .. والحب ..

وأن يملؤوا أذنيها بالكلام الجميل ..

" غير المبالغ فيه " ..

حتي يشبعوا إحتياجاتها من العطف والحنان ..

فلا تقع في علاقة حب .. قد تكون من طرف واحد ..

مع أول إنسان تستشعر فيه العطف والحنان ..

لكي تشبع النقص في العواطف ..

وهو النقص الذي يطاردها بل ويؤرقها ..

لدرجة أن تفقد ثقتها بنفسها .. وثقتها بذاتها ..

وبذلك يصونوا إبنتهم من الوقوع في علاقات لا طائل من ورائها ..

إلا الندم .. حيث لا يفيد الندم .. ويكون الأوان قد فات ..

و لا يمكن أن تترك مهمة تربية الأولاد للعشوائية .. والتخبط ..

في إتخاذ القرارات .. وإدارة شئون البيت إرتجاليا ..

وإذا لم تكن النتائج لهذا الإرتجال واضحة في حينه ..

فهذا لأن هذه القرارت نتائجها مستقبلية ..

وتنعكس على الأبناء في مستقبلهم .. وعلاقاتهم بالغير ..

و عليه .. لا بد للمراهق من الشعور بالأمان في المنزل ..

الأمان من مخاوف التفكك الأسري ..

والأمان من الفشل في الدراسة ..

والأمر الآخر هو الحب ..

فكلما زاد الحب للأبناء .. واحتوائهم .. وشمولهم بالرعاية ..

والعطف .. والحنان .. زادت فرصة التفاهم معهم ..

فيجب ألا نركز في حديثنا معهم على التهديد والعقاب ..

والعدل في التعامل مع الأبناء ضروري ..

لأن السلوك التفاضلي نحوهم يوجد أرضاً خصبة للعصبية .. والغيرة .. والكراهية ..

ومن الأمور التي يجب على الأسرة مراقبتها في سلوكيات أطفالهم ..

هي الغيرة ..

فما هي الغيرة ..

الغيرة هي حالة انفعالية .. يشعر بها الطفل ..

ويحاول إخفاءها .. ولا تظهر إلا من خلال أفعال سلوكية يقوم بها ..

وتعد الغيرة .. أحد المشاعر الطبيعية الموجودة عند الإنسان .. كالحب ..

إذا كانت على المستوى الإيجابي .. ولا مبالغة فيها ..

وإلا تحولت إلى غيرة مرضية .. وأنانية .. ونرجسية ..

ولذلك يجب على الوالدين تقبل ذلك كحقيقة واقعة ..

وفى نفس الوقت لا تسمح بزيادتها ..

فالقليل من الغيرة حافز على المنافسة والتفوق ..

أما الكثير فإنه مضر لشخصية ونمو الطفل ..

ومن آثار الغيرة المرضية .. لدى الأطفال .. ظهور السلوك العدوانى .. والأنانية ..
وهناك أخطاء تبدو شائعة .. لدى بعض الأسر ..

وهي تخصيص بعض ما سبق أن استعمله الأخ الكبير

من ملابس .. وألعاب .. وكتب .. للأخ الأصغر ..

لذا يشعر الصغير بالدونية ..

فتشتعل غيرته ..

ويبدى عدائه نحو الأخ الأكبر ..

كما يوجد بعد آخر في معادلات التربية الصحيحة ..

ألا وهو البعد الديني ..

فإن أفضل وأعظم خير يقدمه الأب لإبنه .. هو أن يفقهه في دينه ..

وفي الأثر ..

" .. ربوا أبنائكم على ثلاث خصال .. حب نبيكم .. وحب آل بيته .. وتلاوة القرآن "

كما ينبغي تعليم الولد سيرة الرسول " ص " ..

فالأطفال يحبون القصص .. ويشغفون بها ..

وليس هناك قصص أحسن من القصص القرآني ..

وسيرة المصطفى " ص " ..

وهذه الروحانيات سوف تسهم كثيرا في الرقي بنفسيات الأطفال .. والسمو بأفكارهم ..

وهذا ما يساعد على ضغط مساحة الأنا .. لدى الأطفال .. وغلبة الأنا الأعلى ..

فلا ينمو الطفل أنانيا .. محبا لذاته .. نرجسيا ..

فهل صفة الأنانية .. عند الطفل .. طبيعية ..

obeikan.com

أي أنه يولد بها .. أم مكتسبة ؟! ..
و نود من البداية .. أن نؤكد أن صفة الأنانية هي صفة مكتسبة ..

بفعل التربية والتنشئة الإجتماعية ..

شأنها في ذلك شأن القدرة على التعلم .. والقدرة على تقدير الأشياء ..

وتقدير الذات.. وحب الأخر .. والغيرة ..

أي أن الأسرة هي المسئولة عن ترسيخ هذه الصفات المكتسبة في الطفل ..

فنسرف في تدليل الولد .. ونمنحه .. ما نحرم منه أخته .. أو أخيه ..

ونبالغ في قدراته .. وفي ذكائه ..
إضافة إلى المبالغة في مديحه .. ولا سيّما إذا كان لا يستحقّ ذلك المديح ..
بينما نتحدث عن أخته بالخيبة .. والغباء .. والكسل ..

ونتغاضى عن أخطائه ..

بينما نواجه البنت بأقسى العقوبات . . البدنية .. والمعنوية ..

فيتمادى الولد في حبه لذاته .. وأنانيته المرضية .. النرجسية ..

ويتمادى بالمبالغة في تقدير قدراته .. وذكائه ..

إنّ هذه الممارسات التربوية الأسرية الخاطئة .. وغير المتوازنة ..

تقود كلّها إلى تبدّلات جوهرية في نفس الطفل .. وشخصيته ..

فإذا خرج إلى المجتمع .. في فترة المراهقة ..

فإذا به يواجه علاقات إجتماعية لم يعده الوالدان لمواجهتها ..

بل تركاه يؤسس لأنانية مفرطة ..

هما المسئولان عن توفير المناخ المناسب لها ..

والبيئة المليئة بالمثيرات والمعززات الداعمة لها ..

فيكتشف المراهق أنه أضعف من أن يواجه المجتمع الجديد عليه ..

فكل شيء كان يطلبه .. كان مجابا ..

وكانت حياته ناعمة .. سلسة . . مرفهة ..

فلا إبداع ..

ولا مبادرات ذاتية ..

ولا قدرة على الإعتماد على النفس ..

لا شيء هناك ..

فقط .. التواكل .. والهروب ..

التواكل على الأخرين .. في حل كل مشكلاته ..

أو الهروب منها .. في حال لم يجد من يعاونه في حلها ..

فأصبحت كل المشكلات التي تواجهه .. إنما هي أسوار .. لا يمكنه تخطيها ..

أو العبور من خلالها ..

ولا حل لها ..

ولا طاقة له على تحملها ..

obeikan.com

ولا يستطيع أن يكون علاقات إجتماعية متوازنة مع الآخرين ..

ويفشل في دراسته .. ويفشل في حياته ..

فيكون عجينة طرية في أيدي أصدقاء السوء .. الذين يستغلون كون كل طلباته في البيت مجابه ..

فيقبل على الممنوعات .. ويدمن المخدرات ..

وبدلا من أن نفخر بإبننا .. الذي استثمرنا فيه كل حياتنا ..

كي يخلد إسم العائلة ..

نتجرع الندم على تدليله ..

والإسراف في تلبية مطالبه .. والإهمال في تربيته ..

ونكون قد خسرناه .. إلى الأبد ..

فلا كان نافعا لنفسه ..

ولا كان نافعا لأسرته ..

ولا كان نافعا للمجتمع ..

ولا شك أن القيم في المجتمعات .. تختلف حسب التدرج الطبقي لهذه المجتمعات ..

وأيضا يختلف مدي تمسك والتزام الأفراد بهذه القيم ..

وعليه فإن للأباء قيما مختلفة باختلاف الطبقة الإجتماعية التي ينتمون إليها ..

وتؤثر هذه القيم في عملية التنشئة الإجتماعية لدى أبناء كل طبقة ..

obeikan.com

فالآباء الذين ينتمون إلى الطبقات الإجتماعية الأدنى .. يقدرون الإحترام والطاعة والإمتثال والدقة والتأدب ..

كما أن الأباء هنا يلتزمون بالشدة والحزم مع أطفالهم ..

إلا أنه .. ومن الأخطاء الشائعة في هذه المجتمعات .. التي تشملها الطبقة المتوسطة ..

نجد أن الكثيرين من الأباء .. يلجأون إلى التشهير بأبنائهم .. أمام الآخرين ..

ويظهرون لهم أخطاء .. ومساويء أبنائهم .. وبناتهم ..

ويؤكد الكثيرون من علماء النفس .. أن هذه الأساليب الخاطئة بالتشهير بأبنائهم أمام الآخرين .. تجعلهم يفقدون الثقة في أنفسهم .. و يشعرون بالإهانة ..

إن هذا التشهير يعد عاملا مدمرا لشخصية الأبناء .. ويترتب عليه مضاعفات خطيرة تهز من شخصية الإبن .. أو الإبنة ..

فقد ينكفيء الإبن على نفسه .. وينزوي من أمام الآخرين .. فيكون عرضة للإستسلام للإكتئاب .. وكراهية الغير .. ويفقد القدرة على التواصل معهم في علاقات إجتماعية إيجابية ..

وربما فقد التواصل النفسي .. أي التواصل مع ذاته ..

وتتملكه مشاعر الدونية .. والنقص ..

والحل الوحيد .. لهذا الإبن .. للتخلص من هذه الآثار السلبية .. بل المدمرة ..

الناتجة من التشهير به أمام الآخرين .. هي التواصل مع الطرف الأخر في

حياته الأسرية ..

أي الذي لا يقوم بالتشهير .. بل يرفضه .. ويعرف أبعاده المدمرة .. وآثاره السلبية على أولاده .. أو أولادها .. إذا كان الذي يقوم بالتشهير هو الأب ..

ومع هذا التواصل .. والشفافية .. والمصارحة .. يستطيع هذا الطرف الآخر أن يشرح للإبن كيف أن الطرف الأول ربما لا يقصد التشهير .. وأنها مجرد زلة لسان .. فلا أحد يحب التشهير بإبنه ..

ثم يؤكد لإبنه .. كم هو إبن رائع .. وسوي .. ومجتهد دراسيا .. ومحبوب إجتماعيا .. و أن الأسرة كلها تحترمه .. وتقدره .. وحتى الأخرون .. يحترمونه ..

فيجنب إبنه فقدان الثقة بالنفس .. والإنطواء .. خاصة إذا كان هذا الطرف قد استطاع أن يجمع بينه وبين إبنه في علاقة صداقة وتواصل .. أكثر من كونها علاقة أب بإبنه .. أو علاقة أم بإبنتها ..

وهذا هو ما يجعل علاقة الصداقة والتواصل .. بين الأبناء .. والأباء .. عاملا هاما في التنشئة الإجتماعية للأبناء ..

obeikan.com